أنتَ الذى ليستْ لسوآته ولا لنعمى الله من مُحْص
معائبُ الناس وسوْآتهمْ قدجمعت لى منك فى شخص

فجمع السوآت كلها والمعايبَ فى شخصه ما يكاد يُفلتُ منه عيب أو خزى إلا كان فيه ، وهذا هجاء قاس شديد ، ولكننا نجد هجاءه فى إسماعيل ابن بلبل أبرع منه حين يقول :

عجبَ الناسُ من أبى الصقر إذ ولّ ى بعد الإجـارة الديوانا
ولعمرى ما ذاك أعجبُ من أن كان علجاً فصار منْ شيبانا
إن للجدّ كيمياء إذا مـا مَسّ كلباً أحالهُ إنسـاناً
يفعلُ الله ما يشاء كما شـا ءَ متى شاء كائناً ما كاناً

فهو يُحيله من مقام إلى مقام ومن صورة إلى صورة حتى ليعيد أصله إلى الكلب فيجعله إنساناً بعد ذلك ، وكذلك يفعل اللهُ معجزاته ؛ ونرى فى ترديد الكلمات هنا إتماماً لبراعته فى هذا الهجاء . ويشاء ابن الرومى أن يتم المعايبَ فى هذا الباب فيهجو ثقيلا بقوله :

وثقيـل كأنهُ ثقلُ دَين تتقـذاهُ طالعاً كلُّ عين
حمّل الله أرْضَه ثقلَيْها وبَراه عـلاوةَ الثّقلَين

فهل تجدُ أشد أثراً من هذا الثقيل حين يزيد على ثقل الأرض كلها ، تتقذى لمنظره العين ويجده الناس منفراً كالديون . ويضيف المتنبى إلى المعايب المذكورة خفة الحلم وقلة العقل فيقول فى كافور :

لقدْ كنتُ أحسب قبل الخصىّ أن الرءوس مَقرُّ النهى
فلمـا نظرتُ إلى عقلـه رأيتُ النهى كلها فى الخصَى

فهو يجعلُ عقله فى غير مكانه ويرسم له صورة معروفة ولكنها فنية فى السبك والتركيب واللفظ ، وحين يتناول البخلَ يتخذ سبيلا جديدة فى الوصف فيقول لمليك مصر :

أمسيتُ أروح مُثْرِياً خازناً ويداً أنا الغنى وأموالى المواعيدُ
إنى نزلت بكذابين ضيفهم عن القرَى وعن الترحال محدود